الحرب البونيقية الثالثة

(149 ق.م- 146 ق.م.)

كانت قرطاجة بعد الحرب الثانية في اضطراب كبير؛ وقد حاول هنبعل إصلاح الوضع؛ لكن الأرستقراطية القرطاجية كانت قد عزمت القضاء عليه، محملة له هزيمة الحرب، ووجهت له تهمة الخيانة لعدم حصاره روما أثناء حربه لها. لكنه يفلت بنوع من الانقلاب قام به الحزب الشعبي، ومن □لاله يتولى هنبعل أمور الدولة، ويستطيع من إصلاح المالية المتدهورة، وإعادة تنظيم الجيش في سرية، وإنشاء أحلاف □ارجية، ومعالجة جروح الحرب بكفاءة (195ق.م.).

رأت روما هذا التحسن بتوجس، وقد كان الحزب الأرستقراطي القرطاجي حليفها يبلغها بتلك التطورات؛ فقامت ببعث مندوبية للاستفسار حول مزاعم الترتيبات العسكرية لهنبعل، □شية منه نقض اتفاق الصلح وهي في حروبها في شرق المتوسط وآسيا. ثم تبعث مندوبية أ□رى كان سببها الخفي إلقاء القبض على هنبعل بمساندة الأرستقراطية القرطاجية، لكن هذا تبلغه المكيدة، ويفر ليلا عبر البحر، ويتوجه إلى صور عند ملكها "أنتيوشوس" (Antiochus)، ثم إلى "بروسياس" (Prusias) ملك "بيتينيا" (Bythinie)، حيث ينتحر (183 ق.م.) قبل القبض عليه كما تذكر الرواية اللاتينية.

- **توسعات ماسينيسان**:

□رج ماسينيسان من الحرب الثانية منتصرا، مستحوذا على نوميديا، وسعى في تحضير مملكته، مع البقاء حليفا لروما، يدعمها في حروبها، وهو القائل: "أنه ليس له الحق إلا التمتع في بلاد مالكها الحقيقي هو روما".لكن مع هذا كان يسعى لتوحيد البربر تضمهم مملكة واحدة، ومن هنا بدأت توسعاته على حساب الأراضي القرطاجية، التي كان يزعم عودتها لأجداده، ولم تنفع احتجاجات قرطاجة على ذلك، فقد ردت عليها روما باتهامها. ويستغل ماسينيسان الفتور الروماني، أو كانت روما تدفعه لذلك سرا، □شية من د□ول قرطاجة في حلف مع أعدائها، كما يذكر "ڤزال". ويتوغل في إقليم "إمبوريا" (Emporia) القرطاجي-د□ل □ليج قابس- ويسيطر عليه كاملا سنة 183 ق.م.

ثم ينجح بعد في مد سلطانه على الناحية الطرابلسية الليبية، ويصبح محيطا بقرطاجة من كل جانب، ولم يكن في وسعها إلا رفع الاحتجاجات لإلى روما، ولم يكن في نية هذه إنصافها، وسعت في □داعها ببعث المندوبيات المتتابعة في سني: 197، 174،182،195، 172، هذه الأ□يرة التي جاءت بعد استيلاء ماسينيسان على حوالي سبعين مدينة قرطاجية. وسني: 150،157،153،151، وسنة 152 ق.م. التي قضي فيها استثناء لصالح قرطاجة، وكان عليها شبيون.

وكان في هذه الأثناء التوتر السياسي بد□ل قرطاجة في ذروته؛ فقد أصبح بها ثلاثة أحزاب متنازعة: الأرستقراطية التي سميت بالحزب الروماني، والحزب الشعبي عليه "جكسون"، وحزب ماسينيسان الذي كان يطالب بفتح أبواب المدينة له. وفي سنة 151 أو 150 ق.م. يطرد حزب ماسينيسان

من قرطاجة، فيوجه هذا الأ□ير ابنيه (غلوسة ومسيبسا) للمطالبة بعودته، لكن يرفض فتح أبواب قرطاجة لهما ويعتد على أحدهما، فيبعث ماسينسسان غلوسة إلى روما للزيادة في الدعاية الكاتونية.

ثم يستحوذ ماسينيسان على مدينة "أورسكوبا" () القرطاجية؛ فيقرر الحزب الشعبي إعلان الحرب عليه، ويتجه الجيش القرطاجي وعليه "صدربعل" البرقي في 25 ألف راجل وأربعة آلاف فارس، ويلحق به بعض البربر، وبعد معارك يحاصر هذا الجيش ويتعرض للمجاعة، فيضطر للاستسلام بعد قبول شروط ماسينيسان، وكانت: تسليم المتحولين من البربر، دفع□مسمائة طالنت لمدة □مسين سنة، إعادة حزب ماسينيسان المطرود من مدينة قرطاجة، وتسليم سلاح الجنود القرطاجيين. لكن ينقض غلوسة بن ماسينيسان على الجنود القرطاجيين في طريق عودتهم ويقضي على أكثرهم، وتفقد قرطاجة حوالي ستون ألفا من جيشها (150 ق.م.).

ـإعلان الحرب ونهاية قرطاجة:

وجدت روما بذلك الذريعة لإعلان الحرب على قرطاجة وإزالتها من الوجود، كما كانت تدعو له الدعاية الكاتونية. فقد انتهكت قرطاجة اتفاقية الحرب الأ□يرة؛ فحاولت هذه تدارك الأمر بعد الهزيمة ضذ ماسينيسان، فأعدمت رؤساء الحزب الشعبي، وبعثت مندوبية لروما التماسا للسلم، □اصة وأن مندوبية لمدينة أوتيكة كانت قد وصلت روما وأعلنت استسلامها وولاءها.

ووجهت روما قنصلاها وجيشها إلى صقلية (149 ق.م.)، فلحقت بهما المندوبية القرطاجية، فراوغاها وطالباها بمائة رهينة من العوائل القرطاجية الكبرى، وتمتثل قرطاجة؛ لكن القنصلان يتوجهان بالجيش إلى إفريقية، وينزلان أوتيكة بثمانين ألف مقاتل. ثم يتوجه رجال السيناتو القرطاجي لطلب السلم، فيشترط عليهم تسليم كل ما يمكن أن يستخدم كسلاح دا□ل قرطاجة قبل توقيع أي عهد سلم، فيمتثل السيناتو وتسلم المدينة سلاحها (200 ألف سلاح، 200 ألف درع، ثلاثة آلاف منجنيق، وكل سفنها). وبعد كل هذا التنازل يعلم القنصل "سانسورنوس" أن روما قد قررت تدمير المدينة، ووجب على سكانها إ□لاءها، والابتعاد عن سكنى الساحل ثمانين غلوة (حوالي 15 كلم).

بعد وصول الخبر قرطاجة تقوم ثورة شعبية عارمة، راح ضحيتها كل من شارك في تسليم سلاح المدينة، والمناصرين للسلم، وأنصار روما، وقرر الشعب القتال حتى الموت في حركة استبسال أسطورية، ويضرب الحصار عليها ويطول، وتضرب المجاعة أطنابها، ويقرر "شبيون الإيميلي" اقتحامها، وينجح في نهاية الأمر بعد استماتة عظيمة من أهلها. وتنهب المدينة، وتحرق، ثم تهدم، وتعلن اللعنات الدينية على كل من يعود للسكن بها. وتصبح بهذا أرض قرطاجة إقليما رومانيا جديدا، ممتدا من نهر "توسكة" المقابل لجزيرة صقلية إلى مدينة "تيناي" شمال □ليج قابس، وحمل هذا الإقليم الساحلي اسم إقليم إفريقية الرومانية، وعين له حاكما مقيما بأوتيكة.

لقد مثل إعلان روما الحرب على قرطاجة إحدى أكبر مظالم التاريخ الروماني، وكان قرار هدم المدينة أكبر منه ظلما؛ ولقد حاول المؤر□ون اللاتين تبرير هذين الفعلين، كما حاول المؤر□ون المحدثون فهم سببه. فتذكر الرواية اللاتينية نفس الذريعة الرومانية في إعلان الحرب عليها وتدميرها، وهي□رقها اتفاقية صلح الحرب البونية الثانية، ويعدد مؤر□ون آ□رون أسباب أ□رى، وراء هذا الفعل اللاأ□لاقي من الرومان:

أ- فذهب "أبيانوس" اللاتيني إلى ان ذلك كان لتخوف روما من إمكان استحواذ ماسينيسان وحلفه على قرطاجة، وقد كانت من أطماعه الكبرى، وقيام دولة نوميدية كبرى قد يقف في وجه المصالح الرومانية في حوض المتوسط. ويؤكد هذا القول كل من"كروزيه" و"أندري أيمار" وحيرش. ويحتج له بقول أحد اصدقاء شبيون الإفريقي أو□ر الحرب البونية الثانية أمام مجلس الشيوخ أثناء المناقشات حول وضع قرطاجة بعد الحرب، فقال: "ماسينيسان حقيقة صديق الشعب الروماني، لكن يجب أن لا نغالي في تقويته، والأصح أن نراعي مصلحة الشعب الروماني".

ب- وقيل□وفا من عودة قوتها الاقتصادية والعسكرية، □اصة وان الثورة الديمقراطية كانت قد اندلعت دا□ل قرطاجة، وكان فيها صوت الشعب راجحا في عمليات التشاور على صوت الحليف الأرستقراطي، كما أنها قد أثبتت من قبل قدرتها على العودة إلى قوتها من جديد.

ج- وقيل أنها كانت تخشى أن يتمكن الملاكون الزراعيون البونيون من منافسة المزارعين الايطاليين، الذين كانوا أسرى الأساليب العتيقة في الزراعة، □اصة وأن سنة 151 ق.م. كانت نهاية دفع ضريبة الحرب الثانية، التي ستقوم قرطاجة بعدها باستثمار أموالها في الزراعة (دكرييه).

د- وقيل أن السبب الرئيس هو إرادة أصحاب السفن الإيطاليين في أن تستمر سيطرتهم على تجارة البحر، بل والزيادة فيها؛ إذ أن معاهدة 201 ق.م. لم تمنع القرطاجيين من بناء السفن التجارية؛ فأ□اف هذا الأوساط المالية، الممثلة بطبقة الفرسان في مجلس الشيوخ الروماني، المسيطرة على الوسائط البحرية في روما.

لكن كل هذه الفرضيات تسقط أمام همجية تهديم قرطاجة؛ إذ كان في مصلحة كل هؤلاء أن تبقى المدينة معمورة في أيديهم، فتذر لهم الأموال الطائلة، والتي يستطيعون بها أيضا بلوغ مآربهم الزراعية والتجارية دون اضطرار لهدمها، ويبقى السؤال مطروحا لماذا هدمت المدينة؟